معالم كهنوتيّة في الرسائل الرعائيّة

الأب ميلاد الجاويش المخلّصيّ
باحث في الكتاب المقدّس

مقدّمــة

يصحّ القول إنّ الرسائل الرعائيّة (١ و٢ تيموثاوس وتيطس) ترسم معالم لاهوت بولسيّ في الكهنوت، وذلك لسببَين رئيسيَّين: الأوّل هو أنّ كلمة "بِرِسْبِيتِرُوس" (πρεσβυτε′ρος) اليونانيّة، والتي تُترجَم عادةً بكلمة "شيخ"، ومنها كلمة *presbyter* اللاّتينيّة، أي "كاهن"، لا تَرِد عند بولس إلاّ في الرسائل الرعائيّة، وبالتحديد في الرسالة الأولى إلى تيموثاوس وفي الرسالة إلى تيطس، مع العلم أنّ بولس لم يستعمل أبدًا، في رسائله كلّها، الكلمة التقنيّة للكاهن ιερευς،ولا ιερατεια، ولا مرادفتها ιερατευμα ("كهنوت")، ولا الفعل ιερατευω ("يكهن")؛ والسبب الثاني هو أنّ الشخصَين اللّذين تُرسَل إليهما الرسائل الثلاث، أي تيموثاوس وتيطس، إنّما كانَا راعيَين في الكنائس الأولى، وبالتالي توسُّعًا من شيوخها. فما يُقال في/ولـ تيموثاوس وتيطس يصحّ قوله في/ولـ كلّ رسول وشيخ في كلّ زمان ومكان. ليس هذا فقط، بل ما يقوله بولس، "الشيخ" (فلم [1])، وما ينقله من خبرات شخصيّة، يصلح لأن يكون نموذجًا لكلّ رسول وشيخ في الكنيسة. ينتج عن ذلك أنّ النصوص جميعها، تلك التي ترد فيها كلمة "شيخ" أو "أسقف"، أو تلك التي تحوي على مجرّد إرشادات لتيموثاوس وتيطس، تصلح كلّها لرسم معالم لاهوت كهنوتيّ بولسيّ في الرسائل الرعائيّة.

١ – "شيخ" (πρεσβυτερος، "بِرِسْبِيتِرُوس")

ولكي نبدأ من مكان، نحاول أوّلاً أن نعالج النصوص التي ترد فيها مشتقّات كلمة "بِرِسْبِيس" (πρεσβυς)، وهي الجذر اليونانيّ الذي تشتقّ منه كلمة "بِرِسْبِيتِرُوس".

تَرِدُ كلمة πρεσβυς بمشتقّاتها ٨ مرّات في الرسائل الرعائيّة، وبمعانٍ مختلفة:

– في الرسالة الأولى إلى تيموثاوس، نقع أوّلاً، ولمرّة واحدة، على الاسم "بِرِسْبِيتِرْيُون" (πρεσβυτεριον)، وهو يعني الشيوخ كجماعة ومجلس: "لا تُهمِل الموهبةَ التي فيك، تلك التي نلتَها بنبوّة مع وضع جماعة الشيوخ أيديَهم عليك" (١ تم ٤: ١٤).

– ثمّ يستعمل بولس لخمس مرّات التعبير πρεσβυτερος بمعنيَين اثنين: إمّا للدلالة على الكبار في السنّ، رجالاً (١ تم ٥: ١)، ونساءً (١ تم ٥: ٢)، وإمّا للدلالة على "الشيخ" بالمعنى التقنيّ للكلمة، أي الشخص

(١) في فلم ٩، يُطلِق بولسُ على نفسه لقب "شيخ" (πρεσβυτης). صحيح أنّ هذه اللفظة تعني "المتقدّم في السنّ"، لكنّ الرسل الأوائل كانوا يعتبرون أنفسهم شيوخًا كباقي الشيوخ. بطرس، مثلاً، لقّب نفسه بـ"الشيخ المعادل" (συμπρεσβυτερος) للشيوخ الذين يكتب إليهم (١ بط ٥: ١).

المخوَّل إدارة الجماعة ورعايتها (١ تم ٥: ١٧، ١٩؛ تي ١: ٥).

– وفي المرّتَين الأُخريَين المتبقّيتَين، يستعمل بولس πρεσβυτης (تي ٢: ٢) و πρεσβυτις (تي ٢: ٣) للدلالة أيضًا على كبار السنّ من الجنسَين.

يتبيّن لنا من خلال هذا الإحصاء أنّ πρεσβυτερος تأخذ معاني عدّة[٢]:

– المعنى الأوّل المباشر هو المتقدّم في السنّ، أي العجوز، الذي يقابل الحديث السنّ والشابّ (νεανισκος). وقد وردت كثيرًا في الكتاب المقدّس بهذا المعنى[٣].

– المعنى الثاني هو "الشيخ"، أي مَن كانت له في الجماعة المسيحيّة الأولى مهمّة الرعاية والإدارة والتدبير، ومجموعهم يؤلّف "جماعة الشيوخ" أو "مجلس الشيوخ"، وهو تنظيم ورثته الجماعات المسيحيّة من اليهوديّة التي كان يتشكّل شيوخها ضمن مجلس كان يُدعى "مجلس الشيوخ" (لو ٢٢: ٦٦؛ أع ٢٢: ٥)، أو السنهدريم (مر ١٥: ١). أوّل ما يرد ذكر هذا المجلس المشيخيّ المسيحيّ في العهد الجديد هو في أعمال الرسل، عندما أرسلت جماعة أنطاكيا مع برنابا وشاول معونة إلى كنيسة أورشليم الجائعة: "فأرسلوا معونتهم إلى الشيوخ" (أع ١١: ٣٠). هؤلاء سيكون لهم دور إلى جانب الرسل في انعقاد مجمع أورشليم الأوّل (أع ٢١: ١٨). لا شكّ في أنّ تنظيم "جماعة الشيوخ" هو تنظيم متأخّر أخذ بالظهور مع نموّ جماعة أورشليم ومع اختفاء حلقة الرسل، خصوصًا مع غياب بطرس عن أورشليم وتحلّق الشيوخ حول يعقوب وجماعته المتهوّدة المحافظة.

وممّا يجدر ملاحظته هو أنّ في الرسائل البولسيّة التي لا شكّ في أصالتها، لا يُحكى أبدًا عن "شيوخ"[٤]، مع أنّ الجماعات البولسيّة لم تكن تفتقر إلى هيكليّة داخليّة، بل كانت شديدة التنظيم، إذ كانت كلّ جماعة تحوي أشخاصًا يتمتّعون بمواهب مختلفة، يُعرَف كلّ منهم باسم الموهبة التي كان يمارسها ضمن الجماعة: فقد كان هناك الرئيس والمتنبّئ والخادم والمعلّم والواعظ والمتكلّم بالألسنة... (رج رو ١٢: ٢–٨؛ ١ كو ١٢: ٢٨؛ ١ تس ٥: ١٢). أمّا لقب "شيخ"، فإنّ أكثر ما يرد ذكره هو في الرسائل المتأخّرة، وبالتحديد في أعمال الرسل ورسالتَي يعقوب وبطرس الأولى، وبالأخصّ في الرسائل الرعائيّة. ففي هذه الكتابات، يظهر الشيوخ كجسم أصبح له كينونته الخاصّة، إذ يتمّ تعيينهم بالصلاة والصوم ووضع اليد (أع ١٤: ٢٣؛ تي ١: ٥)، وبهم تُناط مهمّة حراسة القطيع، والحفاظ على تقليد الرسل وحمايته من كلّ خطر داخليّ أو خارجيّ (أع ٢٠: ٢٨؛ ١ بط ٥: ١)، ويؤازرون الجماعة بالصلاة ومنح الأسرار (يع ٥: ١٤).

٢– ملامح الشيخ في الرسائل الرعائيّة

أ– مَن مُنح نعمة وضع اليد

الشيخ أوّلاً هو مَن تمّ "وضع اليد" عليه. ووضع اليد حركة قديمة العهد، كثيرة المعاني ومتعدّدة الاستعمالات، وفي جميعها تحمل معنى الانتقال، ومن بينها انتقال السلطة والوظائف من شخص إلى آخر[٥]. إنّها أيضًا حركة استدعاء للروح القدس (أع ٨: ١٧؛ ١٩: ٥–٦؛ عب ٦: ٢). بوضع اليد تنتقل السلطة الرسوليّة من بولس إلى تلاميذه، ومنهم إلى آخرين، على حسب التوصية التي يودعها بولس تلميذَه: "استودع ما سمعتَه منّي بمحضر كثير من الشهود

(٢) رج G. BORNKAMM, "πρεσβυς", *Grande Lessico del Nuovo Testamento* XI, pp. ٨١–١٦٤.

(٣) رج تك ١٨: ١١؛ ١٩: ٤، ٣١، ٣٤؛ ٢٤: ١؛ ٣٥: ٢٩؛ يوء ٣: ١؛ يو ٨: ٩؛ أع ٢: ١٧؛ ١ بط ٥: ٥؛ إلخ. قد تعني "برسبيتروس" أيضًا الأكبر بين شخصَين، كما في لو ١٥: ٢٥ ("الابن الأكبر")، والأقدم جيلاً ("الأقدمون"، عب ١١: ٢). من هنا تعني، توسّعًا، أولئك الأشخاص الأجلاّء المحترمين المعتَبرين الذين يتفوّهون بالحكمة (لا ١٩: ٣٢؛ أم ٢٠: ٢٩؛ حك ٢: ١٠). وقد تأخذ معنى تنظيميًّا، أي رئيس جماعة أو قبيلة (خر ٣: ١٦؛ ٤: ٢٩؛ ١٢: ٢١؛ إلخ).

(٤) لا يستعمل بولس كلمة πρεσβυτης خارج الرسائل الرعائيّة إلاّ في الرسالة إلى فيلمون، عندما ينعت نفسه بـ"الشيخ" (فلم ٩)، وقصده المتقدّم في السنّ.

(٥) راجع في المعنى نفسه: عد ٨: ١٠؛ ٢٧: ١٨، ٢٣؛ تث ٣٤: ٩؛ أع ٦: ٦؛ ١٣: ٣؛ ١٤: ٢٣؛ إلخ.

أناسًا أمناء جديرين بأن يعلّموا غيرهم" (٢ تم ٢: ٢). تيموثاوس نفسه وُضعت يد الشيوخ عليه (١ تم ٤: ١٤)، ومن بينها يد بولس (٢ تم ١: ٦)، لكن من غير أن يُسمَّى شيخًا. وهو أيضًا له السلطة أن يضع يده على غيره (١ تم ٥: ٢٢). كذلك تيطس له السلطة أن "يقيم" شيوخًا (مع فعل καθιστημι، تي ١: ٥). من هنا ضرورة التمييز والحذر وعدم الاستعجال في اختيار مَن تتمّ وضع اليد عليهم، لأنّ المسؤوليّة الملقاة على الشيوخ عظيمة: "لا تعجل في وضع يدك على أحد" (١ تم ٥: ٢٢). وضع اليد عمل كنسيّ بامتياز، ترافقه الصلاة والصوم، ومن شأنه أن يربط الشخص المرتسم بجسم الكنيسة، إذ لا رتبة إفراديّة في الكنيسة، بل هي دائمًا في خدمة الجماعة.

ب- مَن مُنحَ "موهبة الله" و"الوديعة الكريمة"

ومِن وَضع اليد، يكتسب المرتسم "الموهبةَ" (χαρισμα)، وهي "موهبة الله" (٢ تم ١: ٦)، أي أنّ الله مصدرها والمنعم بها (من الجذر نفسه لكلمة χαρις، "نعمة"). لهذا كان رجاء بولس لتلميذه ألاّ يهملها (١ تم ٤: ١٤)؛ وإن هي خفتت من جرّاء الكسل والتراخي ومرور الزمن، فمن واجبه أن يضرم نارها من جديد (مع فعل αναζωπυρεω، ٢ تم ١: ٦). هكذا تتفاعل نعمة الله مع عمل الإنسان.

ولأنّ هذه الموهبة من الله، فهي "وديعة" (παραθηκη)، "ووديعة كريمة" (καλη παραθηκη)، وهي من المفردات التي تتميّز بها الرسائل الرعائيّة دون غيرها (١ تم ٦: ٢٠؛ ٢ تم ١: ١٢، ١٤). الوديعة هي مُلك الله، هي وديعة البشارة والإيمان الحقّ والتعليم السليم، والمرتسِم مؤتَمن عليها (١ تم ١: ١١؛ تي ١: ٣). لذلك يجب عليه أن "يحفظها" بعناية (دائمًا مع فعل φυλα′σσω) بواسطة الروح القدس وفعله. نحن إذًا أمام موهبة لم تُعطَ للجميع، بل لفئة من الناس ولهدف معيّن. ما هو هذا الهدف؟

ج- مَن يرئس ويدير؟

نقرأ في ١ تم ٥: ١٧-٢٢ أُولى اللوائح الخاصّة بالشيوخ حصرًا: "والشيوخ الذين يحسنون الإدارة يستحقّون كرامة مضاعفة" (آ١٧). هم موكلون بالرئاسة والإدارة كونهم جُعلوا على رأس الكلّ (ι-στημι-προ). والإدارة تعني التدبير والسهر والرعاية. لا شكّ أنّ المسؤوليّة الملقاة على هؤلاء الشيوخ حسّاسة ومتعبة: هم "يتعبون في إلقاء الكلمة والتعليم" (آ١٨). لا يتعبون فحسب، بل يجاهدون إلى حدّ النزاع (مع فعل αγωνιζομαι، ١ تم ٤: ١٠؛ ٦: ١٢؛ ٢ تم ٤: ٧). لذلك يحقّ لهم أن يأكلوا من جنى أتعابهم، لأنّ العامل يستحقّ أجرته (آ١٨)، والحارث أن يكون أوّل من ينال نصيبه من الغلّة (٢ تم ٢: ٦). هذا المبدأ، الذي طالما شدّد عليه بولس في رسائله (١ كور ٩: ١٤؛ ٢ تس ٢: ٧) داعمًا رأيه بنصّ كتابيّ (تث ٢٥: ٤)، نادى به الربّ يسوع نفسه (لو ١٠: ٧). ليس هذا فقط، بل مَن يحسن الخدمة، تليق به كرامة مضاعفة، شيخًا كان أم شمّاسًا (١ تم ٣: ١٣). غير أنّ بعضهم قد يسيء التصرّف، فإن صدف أن كان لإنسان شكاية على أحدهم، فلا بدّ من أن تُعرَض بوجود شاهدَين أو ثلاثة، كما كان الأمر عليه في الشريعة اليهوديّة (تث ١٧: ٦؛ ١٩: ١٥). ولا يتأخّر بولس في أن يوصي تلميذه بتوبيخ المذنبين منهم بمحضر من الجماعة، كي يتعلّم الباقون ويهابوا من جسامة المسؤوليّة الملقاة على عاتقهم (آ٢٠).

فضيلة الإدارة هذه، مع الفعل نفسه (ι-στημι-προ)، تُقال في "الأسقف" الذي يدور الكلام عليه في ١ تم ٣: ١-٧. فهو لكي يُعنى بكنيسة الله، التي هي "بيت الله" (١ تم ٣: ١٥)، يجب عليه أوّلاً أن "يحسن إدارة بيته الخاصّ" (آ ٤، ٥). هذا شرطٌ يوضع أيضًا على الشمامسة (١ تم ٣: ١٢). الأسقف، في اليونانيّة εωπισκοπος، يعني الساهر على الجماعة والرقيب المتيقّظ. وردت هذه الكلمة في السبعينيّة (أش ٦٠: ١٧)، ومرّة واحدة في أعمال الرسل (أع ٢٠: ٢٨، حيث لا يفرّق لوقا بين الشيخ والأسقف)، ومرّة وحيدة في رسائل بولس الرئيسيّة (في ١: ١). أمّا

في الرسائل الرعائيّة، فترد مرّتين (١ تم ٣: ٢؛ تي ١: ٧)، وترد كلمة "أسقفيّة" (επισκοπη) مرّة واحدة (١ تم ٣: ١). تُطرح هنا مسألة طالما أثارت جدلاً: **هل "الشيوخ" هم أنفسهم "الأساقفة"؟** في التقليد اللاّحق ثُبّت الفرق، لكن في نصّ الرسائل لا يُحدَّد الفرق القانونيّ بين الرتبتَين، ولا تُذكَر نوعيّة الرابط بين هؤلاء وأولئك؛ ففي الرسالة إلى تيطس (تي ١: ٥–٩)، مثلاً، يدمج بولس الاثنين في مقطع واحد: يتكلّم أوّلاً على الشيوخ (بالجمع)، ومن ثمّ ينتقل إلى الكلام على الأسقف (بالمفرد)، وكأنّه لا يزال يتكلّم على الفئة نفسها. ففي آ ٧، نجد أداة الربط هذه: "لأنّه يجب على الأسقف أن يكون...". أضف إلى ذلك أنّ بولس يشترط على الأساقفة ما يشترطه على الشيوخ. فكلاهما يرئس ويدير ويعلّم ويرعى، وعليه أن يكون زوج امرأة واحدة، لا يناله لوم لا من داخل الجماعة ولا من خارجها، مضيافًا، رزينًا، قنوعًا، تقيًّا، غير محبّ للمال... وغيرها من الصفات الأخلاقيّة والاجتماعيّة والقياديّة (قارن ١ تم ٣: ٢–٧ مع تي ١: ٥–٩).

د– مَن يعلّم؟

تكمن القيادة خصوصًا في "التعب في إلقاء الكلمة والتعليم" (١ تم ٥: ١٧). يبقى التعليم، مع ما يعنيه من وعظ وتبشير وإعلان لكلمة الله، المهمّة الأساس عند الجميع، رسلاً كانوا أم أساقفة أم شيوخًا. لذلك تحتلّ كلمة "ذيذاسكاليّا" (διδασκαλια) مكانة خاصّة في الرسائل الرعائيّة، إذ ترد فيها ١٥ مرّة من أصل ٢١ مرّة في كلّ العهد الجديد؛ فبولس ذاتُه يعرّف عن نفسه بثلاث صفات: هو "مبشّر ورسول ومعلّم" (١ تم ٢: ٧؛ ٢ تم ١: ١١)، وتيموثاوس أيضًا، الذي تربّى على الإيمان وتغذّى من التعليم الحسن (١ تم ٤: ٦) وتبع بولس في التعليم (٢ تم ٣: ١٠)، هو مدعوّ دائمًا أن يواظب على "القراءة والوعظ والتعليم" (١ تم ٤: ١٣؛ رج ٣: ١١، ١٦؛ ٤: ٢)، وأن يعلن كلمة الله، ويلحّ عليها بوقتها وبغير وقتها (٢ تم ٤: ٢)، لأنّ أزمنة ستأتي لا يحتمل الناس فيها التعليم الصحيح ويكدّسون معلّمين لهم على حسب هواهم (٢ تم ٤: ٣–٤). في الواقع، تجتاح الرسائلَ الرعائيّة أفعالُ الأمر التي يوصي بولس تلميذَيه بها، والتي تشدّد على طابع التعليم الذي أُلقي على عاتقهما وعلى عاتق كلّ من يتسلّم القيادة في الجماعة: "عَلِّم" (διδασκω)، "وَصِّ" (παραγγειλλω)، "أَعلِنْ" (κηρυσσω)، "عِظْ" (παρακαλεω)، "تكلَّمْ" (λαλεω)، "وبِّتتخْ" (εωπιτιμαω)، "أَنذِرْ" (εωλεγχω)، "أَلِحَّ" (εφιστημι)، "ذَكِّرْ" (υπομιμνησκω) [٦]. ومن التعابير التي لا ترد إلاّ في الرسائل الرعائيّة، هناك واحد يجب على الأسقف أن يتحلّى به، وهو أن يكون "قادرًا على التعليم" (διδασκτικος، ١ تم ٣: ٢؛ ٢ تم ٢: ٢٤)، أي ذا موهبة في إيصال كلمة الله إلى الآخَرين. هذه المهامّ كلّها لم يكن للمرتسم أن يمارسها لو لم يُعطَ الأمر والسلطان من فوق: "هكذا تكلّمْ وعِظ بما لك من سلطان تامّ" (تي ٢: ١٥). لهذا لا يحقّ لأحد أن يستخفّ به، حتّى لو كان شابًّا نظير تيموثاوس وتيطس (١ تم ٤: ١٢؛ تي ٢: ١٥).

هـ– "ابن في الإيمان"، "خادم صالح"، "رجل الله"، "جنديّ صالح"، "عبد الربّ"...

كثيرة ألقاب الرسول في الرسائل الرعائيّة، إذ يُطلق بولس على تلميذَيه تيموثاوس وتيطس ما يجب أن يتحلّى به كلّ رسول وكلّ شيخ.

– **ابن الإيمان:** فكلّ منهما هو أوّلاً "ابنٌ مُخلِص في الإيمان" (١ تم ١: ٢؛ تي ١: ٤). يبقى الإيمان منطلقَ كلّ شيء، وليس أيّ إيمان، بل ذلك الذي لا رياء فيه (ανυποκριτος، ١ تم ١: ٥؛ ٢ تم ١: ٥). هذه الأصالة الإيمانيّة ضروريّة، لأنّ الأيّام شريرة وقد يحيد البعض عن جادّة الصواب وتنكسر بهم سفينة الإيمان (١ تم ١: ١٩؛ ٤: ١؛ إلخ). تحذيرات كهذه

(٦) رج ١ تم ١: ٣؛ ٤: ١١؛ ٥: ١، ٧، ٢٠؛ ٦: ٢، ١٧؛ ٢ تم ٢: ١٤؛ ٤: ٢؛ تي ١: ٩، ١٣؛ ٢: ١، ١٥؛ ٣: ١.

نجدها في كلّ صفحة من صفحات الرسائل الرعائيّة لتعكس الجوّ العامّ الذي كُتبت فيه. نحن في عصر متأخّر، وقد مرّ زمن على البدايات المفعمة حماسًا. لذلك على مَن يرئس ويرعى أن يكون "متغذّيًا بكلام الإيمان والتعليم الحسن" (١ تم ٤: ٦)، وقدوة للغير "بالكلام والسيرة والمحبّة والإيمان والعفاف" (١ تم ٤: ١٢)، و"يسعى وراء البِرّ والتقوى والإيمان والمحبّة والصبر والوداعة" (١ تم ٦: ١١؛ ٢ تم ٢: ٢٢). وإن لزم الأمر، فهو مدعوّ إلى أن يوبّخ بشدّة لكي يبقى المؤمنون "أصحّاء في الإيمان" (تي ١: ١٣؛ ٢: ٢). بولس نفسه كان مضطرًّا أن يحرم عضوَين من الجماعة، "ويسلّمهما إلى الشيطان كي يتعلّمَا ألاّ يجدّفَا" (١ تم ١: ٢٠؛ رج أيضًا ١ كو ٥: ٥). الإيمان، كما نرى، ليس مفهومًا نظريًّا منفصلاً عن باقي الفضائل، بل هو في لبّها ومرتبط بها أشدّ ارتباط. غالبًا ما نراه مرتبطًا، بـ"المحبّة" (١ تم ١: ٥، ١٤؛ ٢: ١٥؛ ٤: ١٢؛ ٦: ١١؛ إلخ)، و"الضمير الصالح" (١ تم ١: ٥، ١٩؛ ٣: ٩)، "والسيرة" (١ تم ٤: ١٢).

– **خادم المسيح يسوع**: الراعي هو "خادم صالح للمسيح يسوع" (καλο/ φ ε′ση δια′κονος Χριστου/ Ιησου/). بولس نفسه أُقيمَ للخدمة، وما خدمته سوى نعمة من الربّ: "أشكر للمسيح يسوع ربّنا الذي قوّاني أنّه عدّني أمينًا فأقامني للخدمة" (١ تم ١: ١٢)، وعلى شاكلته يجب أن يكون تيموثاوس وكلّ مكرّس. خدمة المسيح تمرّ عبر خدمة الإخوة: "وأنتَ إذا ما عرضتَ ذلك للإخوة، كنتَ للمسيح يسوع خادمًا صالحًا" (١ تم ٤: ٦). لا مرتبة في الكنيسة تُقام لأجل ذاتها، بل لأجل بنيان الجسم كلّه. ومن يُعطى الخدمة عليه أن يبلّغها ملئها، وأن يتمّمها أحسن إتمام. هذا ما يوصيه بولس جازمًا لتلميذه: "أمّا أنت... فاعمَل عمل المبشّر وأتمّ (πληροφορε′ω) خدمتك" (٢ تم ٤: ٥).

– **وكيل الله**: وكلقب مشابه للسابق، يُدعى الأسقف "وكيل الله" (οιϖκονομοφ Θεου/ ، تي ١: ٧)، أي أنّ الله أقامه قيّمًا على كنيسته، التي هي "بيت الله" (١ تم ٣: ١٥)، كما هو حال الوكيل في الأمثلة الإنجيليّة (لو ١٢: ٤٢؛ ١٦: ١؛ إلخ). والصفة الأولى للوكيل هي الأمانة: "فليُعدَّنا الناس خدمًا للمسيح ووكلاء أسرار الله، وما يُطلب آخر الأمر من الوكلاء أن يكون كلّ منهم أمينًا" (١ كور ٤: ١–٢). هذا الوكيل سيؤدّي في آخر الأزمان الحساب عن وكالته. هذه حالة بولس (٢ تم ٤: ٦–٨)، وآخرين غيره (٢ تم ٤: ١٤)، لهذا تكثر في الرسائل الرعائيّة عبارتا: "في حضرة الله" (ενωπιον του Θεου ، ١ تم ٥: ٤، ٢١؛ ٦: ١٣؛ ٢ تم ٢: ١٤؛ ٤: ١)، "في ذلك اليوم" (٢ تم ١: ١٢، ١٨؛ ٤: ٨).

– **عبد الربّ**: لقب آخر مشابه، هو "عبد الربّ" (δου/λος. κυριου): "إنّ عبد الربّ يجب عليه ألاّ يكون مشاجرًا، بل لطيفًا بجميع الناس، أهلاً للتعليم، صبورًا، وديعًا في تأديب المخالفين" (٢ تم ٢: ٢٤–٢٥). كلمات تُردِّد صدى كلمات النبيّ أشعيا المشهورة في عبد الربّ: "هوذا عبدي الذي أعضدُه، مختاري الذي رضِيَتْ عنه نفسي، قد جعلتُ روحي عليه، هو يُبدي الحقّ للأمم. لا يصيح ولا يرفعُ صوته، لا يُسمِع صوتَه في الشوارع. القصبةُ المرضوضة لن يَكسرَها، والفتيلةُ المدخِّنة لن يُطفئها. يُبدي الحقَّ بأمانة. لا يَني ولا ينثني إلى أن يُحلَّ الحقَّ في الأرض" (أش ٤٢: ١–٤). العبد إنّما هو الخادم الأمين، نظير بولس "عبد الله ورسول المسيح يسوع" (تي ١: ١).

– **رجل الله**: ومن المفردات التي تتميّز بها الرسائل الرعائيّة، هي ما يطلقه بولس على تيموثاوس: "أمّا أنتَ، يا رجل الله" (ανθρωπος Θεου ، ١ تم ٦: ١١؛ ٢ تم ٣: ١٧). في العهد الجديد، لا تأتي العبارة بصيغة المفرد إلاّ هنا، بينما نجد صيغة الجمع، "أناس الله"، في رسالة بطرس الثانية (٢ بط ١: ٢١). أطلق العهد القديم هذا اللقب على ملاك الربّ (قض ١٣: ٦؛ ١ صم ٢: ٢٧)، وموسى (تث ٣٣: ١)، وصموئيل (١ صم ٩: ٦)، والنبيّ إيليّا (١ مل ١٧: ٢٤)، وأليشاع (٢ مل ٤: ٩)، والنبيّ المرسَل من الربّ (٢ أخ ٢٥: ٧). رجل الله هو مرسَلٌ من الله ليعمل عمل الله. هكذا على تيموثاوس أن يكون "كاملاً مُعَدًّا لكلّ عمل صالح" (٢ تم ٣: ١٧)، يعرف "كيف يتصرّف في بيت الله الذي هو كنيسة الله الحيّ"

(١ تم ٣: ١٥). لا شيء أنفع من الكتب المقدّسة كي تجعل من الرسول رجلاً لله مُعَدًّا لأن يعمل عمل الله. هي وحدها قادرة على أن تجعله حكيمًا بارعًا في التعليم والتفنيد والتقويم والتأديب (٢ تم ٣: ١٥-١٦). من هنا ضرورة الانكباب على قراءتها (١ تم ٤: ١٣).

– جنديّ صالح ليسوع: والراعي أيضًا هو "جنديّ صالح ليسوع المسيح" (٢ تم ٢: ٣، στρατιωτης عند بولس إلاّ هنا)، ذو شكيمة قويّة، مستعدّ لأن "يحارب أحسن محاربة" (مع فعل στρατευμαι، ١ تم ١: ١٨)، لأن يشارك الغير في الآلام والضيقات (٢ تم ١: ٨؛ ٢: ٣؛ ٣: ١١)، لأن يتحمّل المشقّات (٢ تم ٢: ٩؛ ٤: ٥)، وبصبر جزيل وطول أناة (١ تم ١: ١٦؛ ٦: ١١؛ ٢ تم ٢: ١٠، ١٢؛ ٣: ١٠؛ ٤: ٢). هكذا يمثل أمام الله في آخر الزمان رجلاً "مختبَرًا" (δοκιμος، ٢ تم ٢: ١٥). من أين تأتيه هذه الروح العالية؟ من الله نفسه الذي "لم يعطِنا روح الخوف، بل روح القوّة والمحبّة والفطنة" (٢ تم ١: ٧). بنعمة الله يتقوّى الراعي على كلّ الصعاب: "تقوَّ، يا بنيّ، بالنعمة التي في المسيح يسوع" (٢ تم ٢: ١)، تمامًا كما الله قوّى بولس في الخدمة وعلى حمل البشارة (١ تم ١: ١٢؛ ٢ تم ٤: ١٧). كما نرى، عزيزة جدًّا على قلب بولس صورة الجنديّ الذي يجاهد ويحارب من أجل المسيح، الذي "جنّد" (فعل στρατολογε′ω لا يرد إلاّ هنا) لأجله رسلاً يقتحمون المصاعب متّكلين على نعمته (١ كو ٩: ٧؛ ٢ كو ١٠: ٣).

– رياضيّ: بالإضافة إلى لغة العسكر، يستعين بولس بعالم الرياضة ليصف الرسول بمصارع لا يحصل على الإكليل إلاّ إذا صارع صراعًا شرعيًّا (٢ تم ٢: ٥، مع فعل αθλεω الذي لا يرد عند بولس إلا هنا). الفوز بالحياة الأبديّة مطلوب (١ تم ٦: ١٢، مع فعل επιλα.μβανομαι)، والجائزة المنتظرة هي "إكليل البِرّ" (٢ تم ٤: ٨)، تمامًا مثل الرياضيّين. أمّا الذي يتقاعس فلا يُكلَّل (٢ تم ٢: ٥). العالم فاسد، والحياة فيه صراع دائم، بالأخصّ للذين يريدون أن يحيوا بالتقوى في المسيح، فإنّهم يُضطَهدون (٢ تم ٣: ١٢). من هنا، لا بدّ من تمارين روحيّة دائمة، من ترويض على التقوى: "روِّض نفسك على التقوى" (١ تم ٤: ٧، مع الفعل الرياضيّ γυμναζω). والتقوى أنفع بما لا قياس من "الرياضة البدنيّة" (١ تم ٤: ٨، γυμνασια لا ترد إلاّ هنا). تشدّد الرسائل الرعائيّة كثيرًا على فضيلة التقوى؛ فكلمة ευσεβεια ترد فيها ١٠ مرّات من أصل ١٥ مرّة في العهد الجديد كلّه. يدور الكلام على "سرّ التقوى العظيم" (١ تم ٣: ١٦)، التي لها قوّة لا يفهمها كثيرون (٢ تم ٣: ٥).

كلّ هذه الألقاب التي تليق بكلّ راعٍ ورسول، غايتها إنّما أن تجعل من كلّ مَن مُنح نعمة وضع اليد "قدوةً للمؤمنين" (١ تم ٤: ١٢)، "قدوةً في الأعمال الصالحة" (تي ٢: ٧)، تمامًا كما جعل الله من بولس "مثالاً" لكلّ الذين سيؤمنون (١ تم ١: ١٦، τυπος، بكلّ ما للكلمة من معنى). بكلام آخر، كلّ راعٍ مدعوّ ليكون "شاهدًا" أصيلاً للربّ، لا يستحي بأن يؤدّي شهادةً عن الملكوت أمام الجميع (١ تم ٦: ١٢؛ ٢ تم ١: ٨)، على مثال "المسيح يسوع الذي شهد شهادة حسنة أمام بنطيوس بيلاطس" (١ تم ٦: ١٣).

خاتمة

بعد أن مخرنا بحر الرسائل الرعائيّة، نتلمّس فيها ملامحَ رسول المسيح وأسقفه وشيخه، محاولين بذلك أن نرسم معالم لاهوت كهنوتيّ، من خلال ما كتبه رسول الأمم إلى اثنين من تلاميذه، كانَا الأقرب إلى قلبه، يبقى السؤال: مَن هو الكاهن؟ هو، أوّلاً، مَن تُحاكُ قصّة دعوته فوق، عند الله "الذي دعانا دعوة مقدّسة، لا بالنظر إلى أعمالنا، بل وفقًا لسابق تدبيره والنعمة التي وُهبَت لنا في المسيح يسوع منذ الأزل" (٢ تم ١: ٩)؛ هو، ثانيًا، مَن "يتمّ شوطه" (٢ تم ٤: ٧) متّكلاً على قوّة نعمة الله، وساعيًا أن "يخلّص نفسه والذين يستمعون إليه" (١ تم ٤: ١٦)؛ وهو، ثالثًا، مَن يجرؤ على أن يقول، مع بولس، في نهاية مطافه على هذه الأرض: "إنّي أعرف بمن آمنت" (٢ تم ١: ١٢)، ليس إلاّ لأنّ له ملء الثقة بأنّ "الربّ يعرف الذين له" (٢ تم ٢: ١٩).